قالت العرب

يابن الناسْ، يا كل الناسْ / يابن امرأة لم تلد الأرضُ، ولم تهوى من قومِي / بدوِيًا ساق عصاهُ الجِدْلى بالقرّح وبالفَرْح، وبالشكوى / ما أنّ وشق الأرضَ وكان الوالدُ الولدُ / يابن أبيَ عزفك سَحريٌ لاشكَ ولكن عزفك منفردٌ

المشهد

العدد 330 – السنة الثانية عشرة- الأحد 30 يوليو 2023 م- 12 محرّم 1445 هـ

د. حمدى السيد : خدعت فى الإخوان ولولا السيسى لضاعت مصر

◁ أرسلت للسادات أقول له:"كنت رفيق عبد الناصر فى كل الأوقات◁ لماذا الآن تتخذ طريقاً مختلفاً" لكن تبدل موقفى تجاهه بعد اتفاقية السلام◁ ولمست عن قرب وطنيته وحبه لشعبه

قضى رحلة طويلة من العمل السياسى والحزبى والنقابي، عاصر فيها أكثر من عهد بداية من الملك فاروق مروراً بالجمهورية حتى الرئيس السيسى ، وكان فيها شاهداً على الأحداث وسافر إلى عدة دول بدأت بمنحة فى ريعان شبابه فى أوائل الأربعينات ، وهو يجلس الآن فى منزله بعيداً عن العمل السياسى والنقابى يتابع المشهد السياسى والنقابى من مكتبة الخاص فى ضواحى القاهرة وقد تجاوز عمره ٩٢ عاماً.

الدكتور حمدى السيد، الذى تقلّد منصب نقيب الأطباء لمدة ٢٨ عاماً، وشغل عضوية مجلس الشعب لمدة ٣١ عاماً، وعمل مع ١٨ وزيراً للصحة، وشهد عصر الملك فاروق و ٤ رؤساء بعده، بداية من جمال عبدالناصر عندما كان طبيباً شاباً، وأنور السادات الذى خاض فى نهاية عهده أول انتخابات نيابية، وحسنى مبارك أكثر الرؤساء الذين اقترب منهم وأصبح فى عهده أحد كوادر الحزب الوطنى الحاكم فى هذه الحقبة، ثم المجلس العسكرى إبان ثورة يناير الذى منحه تكريماً خاصا، نهاية بالرئيس عبدالفتاح السيسى .

فتح د. حمدى السيد ، فى حواره لـ" المشهد" خزينة ذكرياته ومواقفه وروى ملابسات كتابه "أنا والرؤساء" الذى يحوى علاقاته بكل الرؤساء بداية من الملك فاروق حتى الرئيس السيسي ، مؤكدًا أنه قرر اعتزال الحياة العامة بسبب كبر سنه الذى تجاوز الـ٩٢ عاماً، لافتًا أنه يحرص على قراءة الصحف يومياً، ويحرص كذلك على مطالعة بعض الكتب فى مكتبة منزله، ويتمتع بذاكرة قوية، ويبرر ذلك بمحافظته على صحته والتزامه بممارسة الرياضة وامتناعه عن التدخين طوال شبابه. المشهد حاورته ثلاث ساعات يفصح فيها عن كواليس وأسرار علاقته بالرؤساء والمواقف التى خاضها الدكتور حمدى السيد وشهادته على أكثر من عصر.

فإلى نص الحوار:

جلست أمام مبارك حين كان نائبا للرئيس واضعاً رجلا على رجل أمامه فقال لي: «انت راجل صعب قوى يا دكتور»

طلبت من مبارك الإفراج عن سجناء 15 مايو فقال: «علشان يقولوا عليا بره إنى من أولاد عبدالناصر ويعملوا لى قلق ووجع دماغ؟ .. نام يا حمدى أنا عارف الكبيرة والصغيرة»

بداية يقول: رفضت المشاركة فى السياسة خلال عهد فاروق وكان عندى أمل فى عبد الناصر ولولاه لتركت البلد بلا عودة ، أعتبر من الأطباء القلائل الذين لا يزالون على قيد الحياة ممن عاصروا الملك فاروق وحتى الرئيس السيسي، ولديهم القدرة على التقييم.

كنت جزءا مهما فى مسيرة المهنة، نقيبا للأطباء ٢٨ سنة وعضو مجلس شعب لـ ٧ دورات متتالية، وكنت من أول من أدخل جراحة القلب المفتوح إلى مصر فى سنة ١٩٦٥، فى وقت لم تكن دول أوربية كثيرة قد أنشأت مركزا متخصصا للقلب المفتوح، حاصل على شهادتين فى الطب الجراحى والطب الباطنى وأصبحت طبيبا شاملا لأمراض القلب.

خلال دراستى حتى الجامعة، عاصرت حقبة فاروق كلها وكان الكثير من زملائى ينخرطون فى العمل الحزبى والسياسي، ولكنى رفضت ذلك وركزت كل مجهودى فى التعليم.

تخرجت من الجامعة فى ديسمبر عام ٥٢، وخلال حرب ٥٦ تم تكليفى كطبيب بشرى ومكثت فى الجيش ٤ سنوات، حصلت خلالها على أعلى أوسمة، وسام الاستحقاق والواجب الوطني، كأحد أفضل الشباب الأطباء الذين خدموا بلادهم فى الجيش.

ثم سافرت الى الخارج وجئت محملا بالآمال، ولكن واجهت صعوبات كثيرا لتطبيق ما تعلمته فى الخارج، حاولت العودة مرة أخرى إلى الجامعة ولكنها رفضت طلبي، فأرسلت خطابين إلى الرئيس عبد الناصر أشكو فيهما تعنت إدارة الجامعة من عودتي، مما دفع الرئيس عبد الناصر للإنصات إلى رسائلى التى قرأها جيداً وأمر بعودتى إلى الجامعة مرة أخرى، والاستفادة مما اكتسبته من دراستى فى الخارج.

● هل تقابلت مع عبد الناصر وعرضت عليه أفكارك وما رأيك فى فترة حكمه؟

– لم أتقابل معه على الإطلاق، بل حصلت على الأوسمة خلال تكليفى كطبيب فى الجيش وأرسلت له خطابين أولهما بعد عودتى من الخارج حين رفضوا عودتى إلى الجامعة، والثانى بعد تعسف إدارى من قبل الجامعة ، وأعتبر حقبة عبد الناصر من أعظم الحقبات التى مرت على مصر فأنا ناصرى متعصب أعشق عبد الناصر.

● ماذا عن السادات كيف ترى حقبة □كمه؟

– فى بداية توليه الحكم كنت أرى أن السادات جاء لكى يسلك طريقا مغايرة عن عبد الناصر، ولم تربطنى به أى علاقة منذ توليه حتى استشهاده على يد عدد من أفراد الجماعات الإرهابية، ولكنى أرسلت له خطاباً له عندما اتخذ قرارات كانت فى اعتقادى خاطئة، وقلت له «يا سيادة الرئيس كنت رفيق عبد الناصر فى كل الأوقات، لماذا الآن تتخذ طريقاً مختلفاً» ولكن لم يتم الرد على رسالتي.

وكنت أرى السادات يريد أن يؤسس جمهورية جديدة بقوانين وقرارات جديدة ولم يخطر فى بالى أن يقدم على إبرام اتفاقية السلام مع إسرائيل.

● هل تقابلت مع السادات وجها لوجه؟

– فى عام ١٩٧٩ وأنا نقيب الأطباء، كانت هناك احتفالية بيوم الطبيب فى شهر مارس وطلب زملائى منى إرسال دعوة إلى الرئيس السادات لحضور المناسبة، وبالفعل أرسلت دعوة إليه ولبى الدعوة بالحضور وكنت فى استقباله، وكان احتفالا مبهجا للغاية وسلم علىّ وقال لى «شكرا على الدعوة يا نقيب، وعاوزك تحضر معايا اتفاقية السلام مع إسرائيل وتيجى معايا أثناء تسلم العريش».

حين قال الرئيس السادات ذلك «اتخضيت وقلت فى نفسى يا نهار اسود انا مش بحب السلام مع اسرائيل ومش هروح، ولكن زملائى أقنعونى بالذهاب مع الرئيس لحضور (مراسم توقيع) اتفاقية السلام فى أمريكا واستلام العريش من الاحتلال» .

● هل دفعك ذلك أن تحب حقبة السادات؟

– فى بداية حكمه لا. لكن تبدل موقفى تجاه الرئيس بعد اتفاقية السلام، لمست عن قرب وطنية السادات وحبه لشعبه واستعادة أرضه وتناوله للقضية الفلسطينية خلال خطبته أثناء اتفاقية السلام واعتبر تلك الخطبة من أهم الخطب التى لم أر مثيلا لها على الإطلاق وينبغى أن تدرس فى الجامعات.

مبارك كان صديقا مقربا

● متى تم أول لقاء جمعك بالرئيس الأسبق مبارك؟

– عندما تولى مبارك منصبه كنائب لرئيس الجمهورية التقيت به عندما كتبت تصوراً لبناء مستشفى عين شمس وعرضت عليه فكرة إنشاء المستشفى وقدمت له كافة التفاصيل اللازمة، ولكن خلال الاجتماع كان ينظر إلى بنظرة حادة بسبب جلوسى واضعاً رجلا على رجل أمامه وقال لى «انت راجل صعب قوى يا دكتور»، فى نهاية الاجتماع اعتقدت أنه رفض الفكرة بسبب انه لم يحبنى ولا أحب طريقة كلامي، ولكن بعد ذلك وافق على إنشاء المستشفي.

السيسى يجرى بمصر بسرعة البرق والمشاريع التنموية نهضة لمصر والمشككين خليهم يتسلوا

● بعد اغتيال السادات وتولى الرئيس مبارك سدة الحكم هل شعرت أنه يسلك طريق السادات أم اختط لنفسه طريقا مختلفاً ؟

بعد تولى مبارك مقاليد الحكم أرسل دعوة لى لحضور أولى اجتماعاته مع عدد من المثقفين والمفكرين وعدد من الوزراء بينهم وزراء الصحة والتعليم والاقتصاد والتخطيط، وقال مبارك نصاً «انصحونى أعمل ايه تحملت مسؤولية ولم أكن جاهزاً لها الآن» وهذا يعتبر أول رئيس تولى مقاليد الحكم يقول ذلك، عرضنا عليه كل القضايا وتكلمنا معه فى كل شيء، وأهم القضايا الذى من المفروض أن يتخذ قرارا سريعا فيها، بعد ذلك ربطتنى علاقة طيبة مع الرئيس مبارك وكان يعرفنى بالإسم «فين حمدى تعالى يا حمدي»

● هل طلبت شيئاً من الرئيس مبارك ولم يستجب له؟

عندما مثلت دائرة مصر الجديدة فى مجلس الشعب، كان الرئيس مبارك يتردد على المجلس دائما، وقلت له فى إحدى المرات «يا سيادة الرئيس الله يخليك اعمل معروف وأفرج عن مجموعة ١٥ مايو زى ما افرجت عن معتقلى سبتمبر(١٩٨١)، وجدت الرئيس مبارك تحول وأدار وجهه لى وقال: «اسكت يا حمدى أنا عارف كل حاجة وكل حاجة فى دماغي، بعدها بأيام تلقيت اتصالا من مؤسسة الرئاسة قالوا لى الرئيس مبارك عاوز يكلمك، كلمته وقال فى التليفون: «يا حمدى عايزنى أفرج عن بتوع ١٥ مايو علشان يقولوا عليا فى بره إنى من أولاد عبدالناصر ويعملوا لى قلق ووجع دماغ؟ .. نام يا حمدى أنا عارف الكبيرة والصغيرة».

● هل قدمت نصيحة إلى الرئيس مبارك ولم يستجب لها؟

– فى إحدى المرات، كان هناك اجتماع لقيادات الحزب الوطنى فى قصر القبة وكنت حاضراً مع كمال الشاذلى وصفوت الشريف وكثير من قيادات الحزب وطلبت الكلمة، وقفت اتكلم موجهاً كلامى للرئيس مبارك وقلت له نصاً: «سيادة الرئيس الجماعات الإسلامية توغلت فى البلاد فى المساجد والجامعات والمراكز الشرعية والكتب التكفيرية ويجب أن نضع حدا لهذا التوغل، وأن الإرهابى عمر عبدالرحمن حدد ٢٥ سبباً لإغتيال الرئيس الراحل السادات، وأغلب تلك الأسباب تنطبق على حضرتك يا فندم، نظرت حولى فلم أجد إلا الصمت وكأن سحابة سوداء أظلمت القاعة، بعدها تدارك الشاذلى كلامى وطلب من نائب المطرية الحديث، فقال «الدنيا بخير يا ريس وشبابنا واعى وعارف خطورة الإرهاب».

بعد الاجتماع قاطعنى مبارك أكثر من ٦ أشهر، خلال تلك الفترة حدثت ثلاث احداث ارهابية تؤكد صدق كلامى وهى «عملية اغتيال المحجوب ومحاولة اغتيال صفوت الشريف وقتل السياح فى الأقصر»، ثم تلقيت اتصالا من مؤسسة الرئاسة ووجدت الرئيس مبارك يقول لى عندك حق يا حمدي».

● ما هى أبرز مواقفك مع الرئيس السابق مبارك؟

– طلبت من مبارك اندماج الإخوان فى الحياة السياسية تحت مظلة الدولة بعدما طرقت الجماعة كل الأبواب ورُفضت فكرة اندماجهم وقالى لى «اقعد معاهم انت وبلغني» ولكن شعرت بالندم بعد ذلك.

وثانى موقف عندما طلب منى كبار المسؤولين التنازل عن منصب نقيب الأطباء، وعدم خوض الانتخابات لصالح إبراهيم بدران، وزير الصحة السابق، فرفضت، وطلب بدران مقابلتى فقلت له « يا دكتور، أنا عرضت عليك أن تساعدنى فرفضت، وأنا لن أترك نقابة الأطباء، وإذا كنت تريد أن تكون نقيباً نافسنى فى الانتخابات، وبالفعل نزل ضدى وتغلبت عليه بفارق أصوات كبير»، ثم تلقيت اتصالا من شخص كبير فى الدولة وقال لي: الرئيس مبارك زعلان منك علشان رفضت تتنازل، فقلت له: لا أنا ولا غيرى نقدر نتحدى الرئيس مبارك ولا نقف قصادة، وكنت أعتقد أن الرئيس مبارك لا يهتم بهذا الأمر، بل كلام المحيطين به».

● هل اجتمعت مع الإخوان؟

– أول اجتماع كان عندما ألقى القبض على عصام العريان، حضرت التحقيق معه بصفتى نقيب الاطباء، ووجهت له تهمة قلب نظام الحكم وقال العريان للمحقق: لا نهدف لقلب نظام الحكم، لكن أنا كنت ناوى أترشح قصاد مبارك... قلت: «يا نهار اسود.. انت اتجننت يلا». ثم ألححت على المحقق ألا يضع هذه العبارة فى التحقيق.

وفى عام ٢٠٠٤ طلب منى عصام العريان التوسط للتصالح مع الحكومة والحزب وأنهم جماعة تدين الإرهاب، كنت أعلم أن العريان «عامل زى الثعبان» ويتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة وعلاقته مع السفارات ممتازة ، أخذت عرض العريان وطرقت كل الأبواب مع دوائر صناع القرار، منهم يوسف والي، وكمال الشاذلى الذى قال ابعدنى عن الكلام ده، وزكريا عزمى قال مش هيحصل إن الجماعة تتصالح مع الدولة، لم أجد أمامى سوى وزير الداخلية حبيب العادلى ذهبت له وعرضت عليه الفكرة، وقال لى نصاً: «يا دكتور حمدى بلاش الإخوان يغشوك، الإخوان مقسمين اللعبة مع الجماعات الإرهابية، واحد يلعب سياسة وواحد يمسك سلاح، ووقت اللزوم هيبقوا واحد وتنضم الصفوف»

ولكن ندمت بعد ذلك، وبعد أن كنت معارضا لما يفعله وزير الداخلية حبيب العادلى تجاه الإخوان، «اكتشفت إنه كان عنده حق»

● هل تقابلت مع مبارك بعد إسقاطه من الحكم وخروجه من السجن؟

– بعد تنازل الرئيس مبارك عن الحكم ودخوله وخروجه من السجن لم اتقابل معه على الإطلاق، وكنت مكتئباً ونادماً أننى لم أره وكان يجب أن أزوره وأطمئن عليه، ولكن لم تسنح لى الفرصة.

● كيف ترى السنة التى تولى فيها الإخوان سدة الحكم؟

– عندما تولى الإخوان مقاليد الحكم شعرت بالظلام على مصر، وقلت للمقربين: «دول يعلقونا على الأبواب وينتقموا من الكبير قبل الصغير» ولكن يشاء القدر أن رجلا مخلصا وأمينا يحب بلده وضع روحه على كفه وأسقطهم، ذلك الفريق السيسى وزير الدفاع وقتها ربنا يبارك له».

● كيف ترى مصر منذ تولى الرئيس السيسى السلطة؟

– الرئيس السيسى خطف مصر من جماعة كانت تريد النيل من مصر والمصريين، وقدم إنجازات عدة، طرق وكبارى ومصانع وتنمية سريعه ، «السيسى يجرى بالبلد بسرعة البرق».

● لكن هناك بعض المشككين فى تلك الإنجازات، وفى تقدم الدولة فى التنمية. ما ردك؟

– مصر طول عمرها يقال عليها كلام، ولكن الشعب يصمت والقيادة تصمت أمام مايتحدث به الأعداء، «واللى يتكلم يتكلم واللى مش عاجبه التنمية يشرب من البحر».

حوار : طانيوس ثمرى